

علماء وحواضر الجنوب الغربي الجزائري خلال القرنان 12 وال 13 هـ
القرنان 18 وال 19 ميلاديين

The scientific contributions of the scholars of the Algerian southwest urban
Areas during the 18th and 19th centuries

ط.د. بوسعيد عبد الرحمان^{*1}

¹ جامعة محمد بن أحمد وهران 2 (الجزائر)، Babderrahman648@gmail.com

تاريخ النشر: 2023/06/18

تاريخ الاستلام: 2023/05/01

ملخص:

يعتبر الجنوب الغربي الجزائري من الأقاليم الضاربة في الصحراء الكبرى، حيث كان لحواضره الدور الكبير في التواصل العلمي وربط الصلات الثقافية بين شتى الأمصار الإسلامية، حيث اكتسب أهمية تجارية باعتباره نقطة عبور هامة للقوافل التجارية ومحطة أساسية لتوقفها قبل مواصلة رحلتها نحو بلدان جنوب الصحراء، ومركز للالتقاء الحجاج القادمين من إفريقيا الغربية. ومن المهم بما كان معرفة أن هذه الطرق التجارية كانت مصحوبة بحركة ثقافية وعلمية مثلها العلماء الذين ارتحلوا إلى المنطقة واهتموا بنشر العلم بمناطق الصحراء الكبرى لنشر الإسلام والعلم وبذلك حضي الجنوب الغربي الجزائري بالاهتمام من قبل العلماء والفقهاء، فأضحت حواضره المنتشرة ملجأ لطلبة العلم وملتقى الزهاد والمتصوفة.

الكلمات المفتاحية: الصحراء الجزائرية، علماء الجنوب الغربي، أعلام الساورة.

Abstract: The Algerian southwest is considered one of the striking regions in the Sahara Desert, where its cities had a great role in scientific communication and linking cultural ties between the various Islamic countries, as it assumed commercial importance as an important crossing point for commercial caravans coming south from the north and south of the It is important that the knowledge of these lines and trade routes was accompanied by a cultural and scientific movement like that of the trade routes was accompanied by a cultural and scientific movement scholars who migrated to the region and were interested in spreading knowledge in the regions of the Sahara desert to spread Islam and science. The refuge of scholars became a meeting place for ascetics and Sufis.

Key words: Algerian desert, Southwest Scholars, Al-Saoura flags.

1. مقدمة:

شكلت منطقة الجنوب الغربي الجزائري بموقعها الجغرافي الممتاز عبر مختلف مراحلها التاريخية نقطة تفاعل جيو-ثقافية بين مواقع حضارية متعددة، حيث ساهمت بشكل أساسي في تبلور ونضج الحركة العلمية والفكرية، التي حمل لواءها مجموعة من الأعلام في اختصاصات متنوعة، أسهموا من خلالها إسهاما بالغيا في إثراء الثقافة المحلية والوطنية وانعكست هاته الحركة العلمية على مدن الجنوب الغربي التي كان له دور حضاري في عملية البناء الفكري والثقافي في تاريخ الجزائر عموما، وأصبحت مراكز علمية وقبلة للعديد من العلماء من شتى أقطار المغرب العربي وخارجه للاستزادة من علمائها فكان لهم الأثر البالغ في النهوض بالعلوم ونشرها، والسعي إلى خدمة الحضارة الإنسانية وتطويرها.

وسنحاول من خلال هذا البحث الموسوم بعلماء وحواضر الجنوب الغربي الجزائري خلال القرنان 12-13 هجريين ال 18-19 ميلاديين تسليط الضوء على اسهامات علماء المنطقة وجهودهم العلمية والفكرية في مختلف المجالات كما تهدف هذه الدراسة الى كشف عن الأثر البالغ لحواضر المنطقة في النهوض بالعلوم ونشرها وإبراز أهمية الدور الحضاري لهاته المراكز العلمية ومدى مساهمتها في الارتقاء بالجنوب الغربي الجزائري الى دور العطاء والرقى، ومن خلال ما سبق ذكره يمكننا طرح الإشكالية التالية :

فيما تتمثل اسهامات علماء الجنوب الغربي الجزائري خلال القرنان 12-13 هـ ال 18-19 ميلاديين؟ وماهي اهم الحواضر التي عرفت بالمنطقة؟ وكيف ساهمت هاته الحواضر في انعاش المنظومة الفكرية بالجزائر؟

2. نماذج عن علماء الجنوب:

1.2: الشيخ محمد الهاشمي:

ولد الشيخ محمد بن محمد الهاشمي في 29 يناير 1896 بجبال زكار شمال ولاية عين الدفلى (عبد القادر، 2015 ص 134)، واشتغل في العين الصفراء بالتعليم الحر من سنة 1925 وتولى منصب مفتي المذهب المالكي، كما ثم ذهب الى منطقة تيوت معلما للقران الكريم حيث ساهم في تعليم أبناء المنطقة وتوعيتهم في المدارس القرآنية وفي المساجد، الى جانب دور الأمانة والإفتاء، حيث قضى حوالي ثلاثون سنة في منطقة عين الصفراء، (محمد، 1999، ص 145) وقد غلق الشيخ الهاشمي محمد تعليم المتون والنحو والفقه و ابن عاشر و الاجرومية، كما كان يشرح لتلامذته آيات من الذكر الحكيم و يعرض عليه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم.

2.2: الشيخ محمد بن أبي زيان:

1733-1653م ولد الشيخ محمد بن أبي زيان بتاغيت أحد القصور الزمنية التي يسكنها بني كومي على الضفة اليمنى من نهر زوزفانة، اشتهر بالورع و الصلاح و الفلاح شملت كل الحواضر، حيث لازم الشيخ مبارك بن عبد العزيز الغرني و عكف على الانتهال من العلوم القرآنية (الغيثاوي، ص 25) و حضور جميع المناظرات خاصة في مدينة سجلماسة وفاس¹ و تمكن في تدريس الفية ابن مالك و شمائل الترميذي و موطأ الامام المالك، ثم ارتحل الى بلاد الحجاز من اجل اكتساب المعارف (أبو القاسم، 2007، ص 55)، ثم قرر العودة الى القنادة و بدأ طلبه العلم الى الارتحال من أجل نيل المعرفة، واختار الشيخ محمد بن أبي زيان القنادة باعتبارها تناسب طابعه الزهدي و الصوفي و كمنطقة ربط أساسية للطرق التجارية بين الشمال و الجنوب (العقبي، 2009، ص 138)، و يجمع

¹ فاس: مدينة مغربية تقع على ضفاف نهر فاس احد روافد نهر السبو في شمال المغرب، اشتهرت بدورها مركزا دينيا و ثقافيا بالمغرب كانت عاصمة المغرب حتى عام 1912 ينظر: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض، السعودية، ط2، ج1996، ص 17، ص 192

المؤرخون بمجئ الشيخ محمد بن أبي زيان و تأسيسه للزاوية أصبحت مقصدا للزوار حيث بلغ حوالي اربعمئة زائر، و حرص الشيخ على تأسيس الطريقة الزيانية (الغيثاوي، مرجع سبق ذكره، ص 10)، و التي هي في الحقيقة متفرعة من الطريقة الشاذلية الأم أصبحت زاوية تسعى الى تحقيق رسالة تربوية و إصلاحية بالمنطقة (سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 504)

كما تشير مصادر الطريقة الزيانية الى ان الشيخ أمحمد بن أبي زيان هو الشيخ السابع و الثلاثون في سلسلة الطريقة الشاذلية، و منذ أن عاد الى القنادسة، و من المرافق العلمية التي كانت ملحقة بالزاوية القندوسية خزانها العلمية بعددها كل من الكتب و المخطوطات و التي تم توفيرها عن طريق الشراء و الاستنساخ و الهبة (مصطفى، 2018، ص 13) ، فرفع راية التعليم و التوجيه و الارشاد مركزاً على تربية الأرواح بالعبادات و الذكر، و ما لبث ان أسس الزاوية سنة 1683م التي ظلت منارة علمية بارزة يأوي إليها الطلبة لحفظ القرآن و تعلم العلوم الشرعية و ذكر الله تعالى. (إبراهيم، 2011، ص 156) توفي الشيخ محمد عبد الرحمن بن أبي زيان القندوسي في بلديته القنادسة و دفن بها كان ذلك عصر الخميس 1145هـ الموافق لـ 25 فبراير 1733م (إبراهيم، نفس المرجع السابق، ص 157)

3.2: الشيخ احمد بن موسى:

ولد سنة 1493م بفاس، و يعود نسبه الى الشيخ احمد بن عبد السلام بن مشيش، و تلقى تعليمه الأول في منطقته التي ولد بها خاصة والده موسى، انتقل في المرحلة الثانية من مساره العلمي بعد أن أخذ عدة أصناف من العلوم من عدة مشائخ بفاس ثم ارتحل الى منطقة الساورة، و أسس بكرزاز زاويته سنة 1582م (محمد، 2008، ص 55) ، حيث تساهم بأدوار متنوعة خدمة لمجتمعه، و أسس طريقته الصوفية، حيث تزامنت فترة الشيخ أحمد بن موسى مع قيام الحكم السعودي بالمغرب الأقصى (الكرزازي، ص 7)، و

الذي عرف حركة سياسية مناوئة قادها الفقيه أحمد بن محلي، واهتم الشيخ أحمد بن موسى بمسألة الصلح بين الناس و حل النزاعات، وترسيخ قيم التسامح و العفو و الصبر إضافة الى اطعام و اواء الضيف و مواساة الفقير (عبد الحكيم، 2002/2001، ص 3)

كما اهتم بنشر العلم بين الناس، حيث شمل جميع فئات المجتمع، واعتمد على تعليم كبار السن من الرجال والنساء بالرموز (محمد، ص 164)، وهي مجموعة من الأشعار ضمنها مواعظه و دروسه التي كانت يلقيها عليهم، و كانت لها الكثير من الفوائد التربوية و الدينية، كما مثلت زاوية الشيخ احمد بن موسى مراكزا لتعليم الصغار و الكبار، قصدها المتعلمون و الموريدون من مختلف الجهات (محمد، نفس المرجع السابق، ص 165)

لقد استخدم الشيخ احمد بن موسى في طريقته منهجاً تربوياً، عرف بالرموز حث من خلالها على طلب العلم و الإكثار من العلم و الزهد و الصبر (محمد، نفس المرجع السابق، ص 166)

أما عن الأوراد التي ردها الشيخ أحمد بن موسى فقد اعتمد فيها كثرة التسبيح كما خلف الشيخ عدة تصانيف في شتى العلوم منها ديوان في الشعر باللهجة العامية و هو ديوان في التصوف عرف بديوان أحمد بن موسى و كتاب علم التوحيد في معرفة الوحيد، و هو كتاب في علم التصوف و كتاب البرهان في أحكام القرآن و هو كتاب في التفسير، و كتاب إنارة الطريق و مسالك أهل التحقيق و هو كتاب في الفقه، و كانت لهذه المؤلفات دورٌ في إزدهار الحياة الثقافية لمنطقة أو حاضرة الساوره (عبد الحكيم، نفس المرجع السابق، ص 5)

و من بين الزوايا التي كانت تتوفر على ثراث هام من المخطوطات، زاوية كرزاز الواقعة جنوب شرق مدينة بشار بما يزيد عن 300 كلم، و يشير صاحب فهرسة معلمة التراث الجائري انها تتوفر على 100 مخطوط. أما عن زاوية كرزاز فقد تم تأسيسها خلال منتصف القرن العاشر الهجري (ق16م) حوالي 953هـ أو 969هـ من قبل الشيخ سيدي

أحمد بن موسى خليفة بن موسى (890-1013هـ/1485-1604م)، و لقد شهر مؤسس الزاوية بالعلم و الصلاح، وأسس طريقة صوفية عرفت بالطريقة الموساوية، و ذلك بإذن من الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الملياني الراشدي. و تتوفر الزاوية اليوم على عدد كبير من الأتباع، و هي تساهم بدور فعال في أعمال البر و الصلاح و التعليم و الارشاد (بوداو، ص 37)

و توفي الشيخ أحمد بن موسى ليلة 27 ربيع الأول 1013هـ/موافق 23 اوت 1604م بزاويته المسماة الزاوية الكبيرة (عبد الله، 2013، ص 87)

4.2: الشيخ أبي العباس أحمد بن أبي محلي :

هو أبو العباس بن محمد بن أبي محلي الفيلاي السجلماسي، (مختار، 1989، ص 332) ولد 1967هـ/1560م بسجلماسة¹، أين تلقى تعليمه الأول على يد والده ثم انتقل إلى مدينة فاسفي حدود سنة 1000هـ-1592م و أخذ عن علماء التصوف مبادئه، وارتحل إلى بني عباس، حيث بعد استقراره بواد الساوررة كاتب العلماء و الأعيان و حثهم على الاستمسك و الجهاد، كما أنه تزوج بإبنة شيخ البلد عبد الله بن محمد، لقد حج مرتين و دون مختلف الاحداث التي مر بها بمؤلفاته العديدة، وثار أحمد بن محلي على السلطة السعدية (عبد الله، ص 23) و إستطاع بسط نفوده على سجلماسة، لكن سرعان ما دارت عليه الدائرة و استعادة السعديون الحكم في سنة 1916م. أما بخصوص مذهبه و فكره فتجمع أنه أشعري المعتقد و مالكي المذهب، لقد ترك بن محلي العديد من الكتابات سخر جلها في الرد على معاصريه و مجاوريه، و مؤلفاته اليوم جلها مخطوط بخزانات مختلف الحواضر العلمية منها-اصليت الخريت في قطع بلعوم العفريت التفریت-.الذي

¹سجلماسة: هي مدينة مغربية لعبت دوراً هاماً في التواصل بين بلاد المغرب و السودان، كونها توجد على طرف الصحراء، تقع شرقي درعة، بينها و بين غانة مسيرة شهرين، ينظر: عبد الرحمن بن خلدون -مقدمة بن خلدون- ج1 دار يرعب، دمشق، 2004، ص225.

أتمه في 1016هـ-1607م وكذلك السيف البارقي مه السيف الراشق والذي خصصه الى شهادات العدول من الأولياء والعلماء (محمد مختار، 1961، ص 269)

5.2: الشيخ المداني بن الحاج :

ولد الشيخ المداني بن الحاج محمد الصافي،(حبيبي، 2018، ص 192) بقصر قرزيم بواد الساورة سنة 1236هـ-1820م حيث صار قصر قرزيم يحتضن مقر زاوية جده سيدي عبد الله بن الشيخ، ومن زاوية سلفه بقرزيم هاجر الى بني قومي المسماة بتاغيت، وفي سنة 1853م أسس زاويته المتفرعة بقصر الماجة¹ سنة 1853م وتنسب إلى الطريقة القادرية حيث كان يلحق أوراها للموردين. فصار يعلم فيها الدين ويعكف على تحفيظ القرآن و يصلح بين الخصوم و يفك النزاعات بين الناس،و يقضي بينهم و يطعم عابر السبيل (حبيبي، مرجع سبق ذكره، ص 193)

6.2: الشيخ محمد بن جراد الساوري

هو عبد الله بن محمد بن جراد (عبد الحكيم، مرجع سبق ذكره، ص 35) ولد بقصر الدمرانة ببلدية تيمودي حيث تولي تسيير شؤون الزاوية بعد وفاة شيخه أحمد بن موسى، حيث عرف بحسن تربية الموردين ، والحفاظ على تعليم علوم الدين، كما تروى له عدة كرمات، وله مؤلفات عديدة منها الواهب والكلام الصائب وهو كتاب في تفسير القرآن الكريم، وكتاب وجود المالك في هلاك الهالك، وهو كتاب في التصوف والتوحيد، كما له كتاب الأحكام و كتب السلام وهو كتاب في الفقه المالكي توفي 1032هـ-1620م (عبد الحكيم، مرجع سبق ذكره، ص 154)

7.2: الشيخ عبد القادر الياجوري :

¹الماجة: قصر يقع على ضفاف واد الساورة ، وينفرد بجانبه العمراني وهو قرية محصنة بالسور وأبراج المراقبة وله أبواب محكمة الأغلاق تحسبنا لهجوم الأعداء، ينظر عبد الله الحمادي الادريسي، زاوية سيدي عبد الله بن الشيخ بواد الاورة ، ط1 الجزائر2013،ص131.

الشيخ عبد القادر الياجوري من رجالات الإصلاح و التعليم في الجزائر من مواليد قرية أقمار بواد سوف عام 1912م درس القرآن الكريم على يد والده الفلاح إلحق بجامع الزيتونية في تونس، و بقى حوالي تسع سنوات ،تعرف في قسنطينة على الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1934م (محمد محمود، ص 25)

أصبح فاعلا في جمعية العلماء الجزائريين ألقى عليه القبض ثلاث عشر مرة حتى يقال أنه قضى نصف حياته في السجون منها سجن المدية بقسنطينة، كما فرضت عليه الإقامة الجبرية في مليانة: 1940-1942م، وفي بني عباس بعد العام 1943م حيث تزوج بعد الإستقلال، شغل غل العديد من المناصب الحكومية بوزارة الأوقاف و التعليم الأصلي، توفي في 1991م¹.

8.2: محمد المختار بن الاعمش الجكني:

ولد سنة 1203 هـ بشمامة ضواحي تندوف الحالية من أسرة علم حيث حفظ القرآن على يد والده الذي كان عالما فقيها¹ ، ثم انطلق إلى مجالسة علماء شمامة وما حولها من الأمصار فنزل في رحاب الشيخ المختار الكنتي (محمد المختار، 1961، ص 159) حيث أخذ عنه العلم ،وقد استخدمه في نسخ كتبه ، حيث يقول عنه السوسي: " كان عالما جليلا يدوي صيته في كل هذه الجهات، فهو فريد في العلوم والقراءات فإليه يصار في حل المعضلات وفتح المشكلات وهو الذي بنى قرية تندوف وأسكنها قومه سنة 1270هـ /1853م (محمد المختار، نفس المرجع السابق، ص 159)

¹ - المختار الكنتي : هو السالك والناسك والعارف ،دو المأثر الشهيرة والفتوحات الغزيرة واحد أقطاب العلم بأزواد من نهاية العقد الثالث من القرن الثامن عشر ميلادي إلى بداية القرن التاسع عشر ، تخرج على يده عدد كبير من العلماء ، له مؤلفات عديدة منها كشف النقاب عن أسرار فاتحة الكتاب ، وتفسير البسملة في نحو كراسه ،وبذل الوسع على الآيات التسع ينظر: احمد الحمدي ، المختار الكبير الكونتي ، منشورات البيت ،الجزائر، 2009، ص153

فكان أول ما بنى فيها المسجد الأعظم يخدم فيه حتى النساء المتحجبات ليلا والرجال نهارا وذلك خلال سنتي 1849م و1850م (محمد المختار، نفس المرجع السابق، ص 159)، وقد تخرج على يده قوافل من أبناء بلده ومن غيرها من الأمصار (عبد الله، 2013، ص 179)، ومن ابرز الأسماء نجد العلامة مُحَمَّد محمود بن التلاميذ التركي¹ الذي أخذ عنه الحديث فقرأ عليه صحيح البخاري والشيخ ماء العينين² عند رجوعه من الحج ولبث عنده فترات متعددة يطالع في مكتبته، وقد أخذ عنه كثيرون منهم أبناءه وخاصة مُحَمَّد الصغير، و مُحَمَّد مولود وعبد الله و مُحَمَّد أحمد وأحمد يَكْن، والشريف مولاي اعلي بن التهامي الجكني، وترك الشيخ محمد المختار مجموعة من المؤلفات منها نصيحة ذوي الرسوخ ونصيحة قضاة البرية في منع الرشوة والهدية وكتاب سقاء الصدور في فتح مسائل المشكور، كما له مؤلف في رسم المصحف الشريف، وبعد جهد وجهاد مع العلم توفي سنة 1866م بمدينة تندوف (العقبي، مرجع سبق ذكره، ص 180)

3. نماذج عن حواضر الجنوب الغربي الجزائري:

يرتبط نشأة الحواضر بقيام أعلامها في تطور الحياة العامة للمجتمع بالجنوب، وقد عرفت منطقة الجنوب الغربي الجزائري خلال القرنان 12-13 هجريين ال18-19 ميلاديين بروز عدة جواضر علمية حيث هناك ساهمت عدة عوامل في تأسيس هاته الحواضر كما تباينت الوظائف التي نشأت من أجلها فهناك مدن تجارية وإدارية وعسكرية وسنوضح فيما يلي اهم هاته الحواضر:

¹ هو أحد علماء شنقيط من قبيلة تركز، لازم الشيخ ابن الأعمش الجكني بتندوف وتلقى عليه جملا من الحديث هو مصحح القاموس المحيط، له مؤلفات عديدة منها كتاب إحقاق الحق وتبريء العرب مما احدث عاكش اليميني في لغتهم ولامية العرب ينظر: احمد أمين الشنقيطي، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط، الطبعة الأولى، المطبعة الجمالية، مصر، 1911م، ص374.

² هو العلامة محمد مصطفى ماء العينين القلقعي ولد سنة 1830م، اهتم بالتعليم حيث بنى مسجدا وزاوية بمدينة السمارة، واشرف على قيادة جيش لمواجهة الاستعمار الفرنسي، له مؤلفات عديدة منها شرح رموز الحديث ومبصر التشوف، توفي سنة 1910م ينظر: محمد سعيد القشاط، أعلام من الصحراء، الطبعة الأولى، دار الملتقى، لبنان، 1997، ص143.

1.3: حاضرة بوسمغون :

ينتمي القصر الى ما يعرف بالجنوب الغربي الاعلى، الذي هو جزء هام من الصحراء الجزائرية الكبرى كما يشكل همزة وصل ونقطة انتقال بين الشمال الغربي الجزائري والجنوب الغربي الاوسط (الساورة)، والاسفل (توات وكورارة) يتداخل مع المجالين الجغرافيين ، فقسم منه وهو الشمال ينتمي الى ما يعرف بالهضاب العليا والقسم الاخر الجنوبي ينتهي الى الجهة الشمالية للصحراء، فظل بذلك مركز عبور للقوافل التجارية باتجاه أعماق الصحراء. (يحي، 1988، ص 80)

وتؤكد الروايات الشفوية المتداولة عند السكان في المنطقة ان بوسمغون كانت تسمى بوادي الاصنام ثم وادي الصفاح نسبة الى الأحجار المصفحة الموجودة بالوادي وكانت بالمنطقة صراعات قائمة بسبب الحدود الأرضية ومياه السقي وعندما حل الولي الصالح " سيدي بوسمغون " اقام فيها واخذ في حل تلك الصراعات ، كما يتكون المجتمع السمغوني من عنصرين عرقيين الأول امازيغي وهو الغالب والثاني ينتهي الى القبائل العربية التي كانت ترتحل سابقا في البوادي (مزيان، 1988، ص 80)

كما يعتبر الكثير من المهتمين بمجال التصوف والطرق الصوفية أن الطريقة التيجانية تأسست في مدينة عين ماضي بالاغواط أو مدينة فاس المغربية ، والحقيقة أنها تأسست بمدينة بوسمغون سنة 1196 هـ - 1782 م هو فيها حصل له الفتح الاكبر وهو عند الطائفة التيجانية رؤية التيجاني للنبي محمد صلى الله عليه وسلم بأس عينه في حالة اليقظة ، فتم بينهما مباشرة دون أي واسطة في اليقظة لا في المنام ، واخذ التيجاني من الحضرة النبوية الشريفة معالم وأصول طريقته الصوفية مباشرة دون وجود واسطة من الشيوخ الاخرين وامر باعلان ونشر طريقته بين الناس بعد أن كان محروما من الاتصال بالخلق (الفاسي، ص 40) ، ومنذ ذلك الحين والوفود تتوافد عليه من مختلف الاصقاع ، واخذت طريقته تنتشر في البلاد القريبة والبعيدة بفضل أركاب الحج وقوافل التجار

ووفود الزوار والمتبركين، حيث مكث في القصر من سنة 1781م الى 1798م، أي حوالي سبعة عشر سنة، وبعدها انتقل الى حاضرة فاس الى أن توفي بها سنة 1230هـ/1815 هـ، ومنه بلغت الطريقة التيجانية الافاق (أبوسالم، 1996، ص 404)

إن اختيار التيجاني لقصر بوسمغون كمواطن أول لتأسيس طريقته تتحكم فيه عوامل عديدة، فمصادر الطريقة التيجانية تتفق على الالهام الالهي والحسن الصوفي للشيخ التيجاني، أثناء إقامته بتلمسان ما بين 1774م و 1780م، هو الذي جعله يشعر أن الفتح الأكبر سوف يأتيه بالصحراء دون أن يعرف المكان بالضبط، وبقي يستخير الله عز وجل حتى تبين له أن عليه أن يقصد الولي الصالح أبي سمغون بالجنوب الغربي الجزائري (الفاسي، مرجع سبق ذكره، ص 42)، واستوطن أولا بأهله قرية الشلالة، وكان ينتقل بين الشلالة وبوسمغون، ما جعل أغلب المؤرخين لا يذكرون قرية الشلالة مكتفين بذكر قصر بوسمغون الذي بلغ فيه الشيخ التيجاني مقام القطبانية والفتح الأكبر وهذا الالتباس نفسه حدث مع الشيخ عبد القادر بن محمد عندما كان يتردد بين القصرين، فذكرت المصادر قصر الشلالة باعتباره موطن الطريقة الشيخية وأبناء سيدي الشيخ أهملت الذكر قصر بوسمغون الذي كان موطنًا لخلاواته. (أبو القاسم، 2005، ص 512)

من خلال ما تقدم تبرز الأهمية والاستراتيجية للقصر كمعقل لتأسيس إحدى أكبر الطرق الصوفية بالعالم الإسلامي، رغم صغر حجمه مساحة وسكانا ألا أن ظروف الفترة الحديثة وخصائصه الجغرافية والاقتصادية حولته الى مركز استراتيجي هام على مستوى بلاد المغرب العربي والصحراء الكبرى (محمد الكبير، 2014، ص 312)

2.3: حاضرة تندوف:

تقع تندوف في الجنوب الغربي للجزائر، حيث تعتبر من المناطق الإستراتيجية التي تربط جهات هامة من إفريقيا وهمزة وصل ما بين أقطار المغرب العربي، ذلك أن موقعها الفلكي ما بين خطي عرض 28° و 27° شمالا وما بين خطي طول 6° و 7° غربا، وهي محصورة ما بين وادي درعا وحمادة درعا شمالا وحمادة الدوكلال في الجنوب (إبراهيم، 2009، ص

(546) ، ويعبر تندوف وادها الفاصل بين قصبتي موساني والرماضين والآتي اليها من الجهة الشمالية الغربية من منحدرات واركيز بحمادة درعة غرب أم العشار إلى أن يصب في منتهاه المعروف بالسبخة الواقعة على بعد 35 كلم شرق البلدة تندوف (إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص 457) كما تبعد ب 804 كلم جنوب غرب مدينة بشار، و40 كلم شمال شرق الصحراء الغربية وتقع أيضا على بعد 60 كلم من شمال موريتانيا و500 كلم جنوب مدينة أقادير المغربية الواقعة على ساحل المحيط الأطلسي (Larribaud, 1952, p.245,) ويسودها مناخ صحراوي جاف صيفا ويتميز بالاعتدال شتاء (عبد الله، 2013، ص 78) وهناك اختلاف حول بين الرواة والمؤرخين في أصل تسمية تندوف منها ماورد في كتاب المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات من أن اسمها يعود إلى كلمة تندفس وهي عبارة عن مركز صحراوي به آبار يحتفرها الناس فلا تلبث أن تنهار وتندفن، (إبراهيم، ص 519) بينما يرى المختار السوسي أن تأسيس مدينة تندوف يعود لآل بلعشم الذين أسسوا هذه المدينة على يد قومهم تجكانت (محمد مختار، 1960، ص 166) وقبيلة جاكانا أو تجكانت من أعظم القبائل التي نزلت تندوف سنة 1270هـ، (إبراهيم، 2011، ص 92) وقد أنجبت فطاحل العلماء ونوابغ الشعراء وكبار الأدباء مالا تحصى الطروس ، وتضم هذه القبيلة عدة بطون كبيرة منها الرماضيين وأولاد موساني (الشيخ، 2005، ص 35) وأسرة ابن الاعمش التي أسست تندوف وعمرتها، تعتبر من أسر العلم والدين والاصلاح، حيث اشتهر بها عديد العلماء الذين يجدر بنا الحديث عنهم والتنبؤ به بما قدموه للإسلام ولمجتمعهم من جليل الخدمات ، وفي مقدمة أفراد هذه الأسرة ابن الاعمش الكبير المولود في شمامة التي درس بها واخذ عن علمائها حتى أصبح من كبار العلماء بها وفي طريقه الى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج مرتبجا كانت فنزل عندهم وتزوج فولد له ولده محمد المختار ثم عاد إلى مسقط رأسه مع ابنه حيث توفي قبل 1260هـ (صلاح، 2002، ص 541)

3.3: حاضرة القنادسة:

يقع قصر القنادسة في الجنوب الغربي للجزائر أما الموقع الفلكي ينحصر بين درجتي (30و20) من خطوط العرض الشمالية ودرجتي (4و6) من خطوط الطول الغربية، أما عن حدود الجغرافية فيحدها من الشمال الشرقي بشار وفقيق، وشرقا جبل بشار، وغربا كلا من جرف التربة وتافيلالت وجنوبا العبادلة وتاغيت ويحتوي تكوينها الجيولوجي على أحجار كلسة صلبة كما يجتاز واحة القنادسة وادي الساوره ، وهو رافد لوادي بوكايس الموجود على المنحدر الجنوبي للحمادة، والذي يعتبر عصب الحياة في الواحة.

لقد عرف قصر القنادسة تطورا كبيرا بمجئ الشيخ امحمد بن عد الرحمان بن ابي زيان الى المنطقة ، ثم ازداد ازدهارا وتطورا بظهور الشيخ بن ابي زيان شيخ الطريقة الزيانية (Louis Rinn 1884. p25) وذلك خلال القرن 11هـ، حيث بنى الشيخ خلوة ومسجد (R.PEYRONNET 1930;p145) التي اصبحت فيما بعد نواة توسع حولها القصر الى ان اخذ مساحته الحالية، وفي فترته تحول القصر من قصبة الى مدرسة دينية مهمة ، وتسير الشؤون الدينية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية، واتخذ اسمه اسم الزاوية وهي زاوية الشيخ "امحمد بن ابي زيان" والتي اصبحت محطة طلب علم وتفقه في الدين وخاصة بعد صدور قرار وقف الزاوية سنة (1183هـ) (L.Céard ,1933;p25) بالمدينة المنورة

من خلال هذه اللمحة التاريخية نلاحظ ان تطور القصر مر بمرحلتين :

المرحلة الاولى: كان عبارة عن قصبة ، منشأ العائلات الاولى.

المرحلة الثانية: تميزت بوصول سيدي ابي زيان الذي اقام بيت الخلوة ومسجد بعيدا عن القصبة، حيث اصبحت نواة جديدة توسع حولها القصر الحالي، وفي الفترة الاستعمارية تم اكتشاف الفحم الحجري في المنطقة من طرف الضابط الفرنسي (annamite) سنة 1917م هذا الاكتشاف جعل منطقة نشاط خاصة بعد ادخال خط السكة الحديدي، وحسب شهادات السكان فإنهم يرون أن كلمة القنادسة مركبة من

"القنا" "دسة" وتعني وجدنا مخبأ وبعدها تطورت الكلمة الى ما هو معروف اليوم القنادسة وهناك من يرجع أصل التسمية الى كلمة بربرية "القنادزة" اي التلميذ من مفرد قندوز، (A. COURS ,1910, p523)

ويقصد طالب العلم لما عرفت به المنطقة من مكانة في طلب المعرفة والمعرفة ، اما الراي الاخير فيرجع أصل التسمية الى فعل " قندوس" ومعناه تاب من المعصية وتعني أيضا المؤنسة والتلف بين الموجدين والوافدين عليها، خاصة إذا تعلق الامر بحاملي العلم والتعليم. (Augustin Bernard,1911, p163)

4.3: حاضرة الساورة:

نعتقد في البداية، وبناء على ما توفر لدينا من مصادر، أن تسمية الساورة أطلقت على المحال العمراني، وأخذ الوادي التسمية بعد ذلك، بدليل أن ابن خلدون عندما يتحدث عن المنطقة والوادي العابر لها، لا يذكر لفظ الساورة، لكنه الوادي ب "كبر" والمنطقة ب "بلاد القبلة" أو توات أو "وطن توت" وهو الذي عاش في نهاية القرن 8هـ/14م وبداية 9هـ/15م؛ فعند حديثه عن قبيلة بني وماتو من مغراوة بقول أن: (مواطنهم متصلة قبله المغرب الأقصى، ... واختطوا مواطن القصور ويسمى وطن توات، وفيه قصور ..فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة متعددة... وآخرها من جانب المشرق يسمى تمنطيط (ابن خلدون، 2000، ص77)

في مفهوم ابن خلدون أن وطن توات يخترقه واد كبر أو جبر الذي يقطع (العرق على سمته إلى أن ينتهي إلى بودة¹ .

لغويا الساورة أو الأساور والساور كما جاء في لسان العرب، جمع اساورة وأسورة جمع سوار، وهو سوار المرأة، والإسوار والأسوار الواحد من أساورة وهو الفارس المقاتل من فرسان الفرس، والأساورة قوم من العجم نزلوا قديما مدينة البصرة (ابن منظور، ص

¹ - يقصد ببودة وهي من قرى توات حاليا

(384) وقد عرفت المنطقة ارتحال طلبة العلم من شتى الأمصار للاستزادة من علماء المنطقة وقد شكلت هذه الحاضرة همزة وصل بين حاضرتي توات وحواضر الجنوب الغربي الأعلى.

4. خاتمة

ساهم علماء الجنوب الغربي الجزائري خلال القرنان 12-13هـ الـ18-19 ميلاديين في تطور الحركة العلمية والفكرية في أرجاء الصحراء الجزائرية، خاصة في ربوع المغرب العربي عامة، وذلك من خلال جهودهم المبذولة في تلقين العامة مبادئ الدين الإسلامي الحنيف والعمل على إرساء قواعده، ومشاركتهم الفعالة في الحياة اليومية للمجتمع من تعليم و تنشيط للحلقات العلمية، كما تولى بعضهم منصب القضاء، والكتابة بأنواعها ومناصبها، وشكلت حواضر الجنوب الغربي مراكز علمية حضارية كان لها دور في صناعة لنخب العالم استطاعت ان تنعش المنطقة فكريا وحضاريا، وأصبحت وجهة طلبة العلم من شتى الأمصار وذلك من أجل الاستفادة من علماء المنطقة.

5. قائمة المراجع:

المراجع باللغة الأجنبية:

1. Augustin Bernard (1911), Confins Algéro – Marocain, Paris: Larousse
2. A . COURS , 1910(.Histoire le cheikh El hadj M'hammed ben Bou ziyen fondateur de la confrérie des ziyania et ses successeurs, Revue du monde musulman
3. J, Larribaud ,Tindouf et la Sahara occidental , Algérie , 1952
4. L.Céard (1933). Gens et choses de Colomb – Béchar (sud oranais), ARCHIVES DE L'INSTITUT PASTEUR D'ALGERIE, tome XI: Alger
5. Louis Rinn (1884) MARABOUTS ET KHOUANS, étude sur l'islam en Algérie, libraire
6. R.PEYRONNET (1930).HISTOIRE, texte choisis de : LIVRE D'OR, tome 2, NOTICES ET BIOGRAPHIES, Alger

المراجع باللغة العربية:

7. إبراهيم بن الساسي، من أعلام الجنوب الجزائري ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر ، 2011
8. إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، دار الرشاد ،الجزء 03، الدار البيضاء ، المغرب
9. إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2009
10. ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، خليل شحادة، دار الفكر، ط1، 2000، ج7
11. ابن منظور، لسان العرب . دار صادر ، بيروت، الطبعة الأولى ، ج4
12. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي دار البصائر، ط2، ج1، 2007
13. احمد الحمدي ، المختار الكبير الكونتي ، منشورات البيت ،الجزائر ، 2009، ص153
14. احمد أمين الشنقيطي ، الوسيط في تراجم أدياء شنقيط ، الطبعة الأولى ، المطبعة الجمالية ، مصر ، 1911م
15. احمد مزيان ، فيجيج مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن التاسع عشر ، مطبعة دار السعادة ، الدار البيضاء، المغرب ، 1988
16. بلقاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، المرجع السابق
17. بوعزيز يحي ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 1999
18. الشيخ ماء العينين، علماء وامراء في مواجهة الاستعمار الأوربي، مطبعة بني زناسن، الجزء الأول ،سلا،المغرب، 2005
19. صلاح مؤيد العقبي، الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر ،دار البراق ، لبنان، 2002
20. طول عبد الحكيم سيدي أحمد بن موسى الكرزازي ، رسالة الماجستير قسم الثقافة الشعبية ،كلية الاداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة تلمسان 2001/2002
21. عبد القادر خليف، التعليم القرآني في الجنوب الغربي الجزائري قبل 1962، منشورات وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، 2015
22. عبد الله الإدريسي ، السلطان السجلماسي الفقيه المفتري عليه الإمام أحمد بن أبي محلي الساوري، مهدي الساورة .المجلد الأول (م)دار بوسعادة للنشر و التوزيع ، الجزائر
23. عبد الله حمادي الإدريسي زاوية سيدي أحمد بن موسى الساوري (ت1013هـ/1604م) بوادي الساورة و بلاد كرزاز دار بوسعادة للنشر الجزائر2013
24. عبد الله حمادي الإدريسي، مناقب ومآثر آل بلعشم الجكنيين بالحاضرة الصحراوية تندوف ، دار بوسعادة ، الطبعة الأولى ، الجزائر 2013
25. عبيد بوداود، دور الزوايا في الحفاظ على التراث المخطوط زاوية كرزاز أنموذجا،المجلة المغاربية التاريخية والاجتماعية، العدد الأول

26. عويدي حبيبي، دراسة لخزانة زاوية سيدي المدني بلحاج بوادي الساورة/المجلة الجزائرية للمخطوطات-العدد 1 جوان 2018
27. العياشي أبو سالم ، اقتفاء الأثر بعد ذهاب اهل الأثر :تحقيق نفيسة الذهبي ، منشورات كلية الاداب والعلوم الإنسانية الرباط ، العدد 33 ، 1996
28. الفاسي علي حرازم بن العربي برادة ، جواهر المعاني وبلوغ الاماني في فيض ابي العباس احمد التيجاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت
29. محمد الحسين فضلا، السيرة الرائدة للتعليم العربي الحر، دار الامة، الجزائر 1999
30. محمد الكبير فقيقي ، حاضرة بوسمغون في المصادر الغربية اثناء العصر الحديث ،مجلة المواقف ، العدد 09 - المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر ، 1954،الجزائر 2014
31. محمد الكرزازي، الاعتزاز بالمناقب الشرفاء-ال كرزازي - المخطوط بخزانة كوسام ولاية أدرار
32. محمد المختار السوسي، المعسول، الجزء 18، مطبعة النجاح، المغرب، 1961
33. محمد بن الكبير حسوني، اللبانة الرمزية لمريد المناقب المعزية، مطبعة الريان، الجزائر 2008
34. محمد سعيد القشاط ، أعلام من الصحراء ، الطبعة الأولى ، دار الملتقى ، لبنان ، 1997
35. محمد محمود الارواني الصالحي الحسني،الترجمان في تاريخ أزواد وأروان،مخطوط بمركز احمد بابا التنبكتي ،مالي
36. محمد مختار السوسي المعسول، مطبعة النجاح 1961، ج16،الدار البيضاء المغرب
37. مختار السوسي، رجالات العلم العربي في سوس من 05هـ إلى منتصف القرن 14هـ،مؤسسة التغليف و الطباعة للنشر و التوزيع ط1،طنجة المغرب 1989
38. مصطفى علوي، الخزانة الزبانية القندوسية في الحفاظ على التراث المحلي، المجلة الجزائرية للدراسات و البحوث، العدد الثامن ديسمبر 2018
39. الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة اعمال الموسوعة للنشر و التوزيع، الرياض،السعودية،ط2،ج1996
40. مولاي التهامي الغيثاوي، منجد الولهان في معرفة ماثر الشيخ محمد بن أبي زيان،دار الهدي عين مليلة، الجزائر